التاريخ والعناصر الفاعلة فيه:
السياق، الظرفية، الشخصية وميزان القوة أنموذجا

محمد الغزواني

أستاذ باحث بوزارة التربية الوطنية، دكتوراه في التاريخ الحديث جامعة ابن طفيل

المغرب

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تحليل فعل التاريخ، من خلال تفكيك العناصر الأساسية التي تسهم في صناعة الأحداث التاريخية، وهي السياق العام، والظرفية الخاصة، بالإضافة إلى الشخصية التاريخية، وميزان القوة، باعتبارها مداخل منهجية أساسية لفهم سيرورة التحول التاريخي للأحداث. ينطلق المقال من سؤال مركزي مفاده، إلى أي حد يمكن تفسير الوقائع التاريخية انطلاقًا من تفاعل هذه العناصر، بدل حصرها في العامل السياسي أو في دور الفرد وحده.

يعتمد البحث مقاربة تحليلية، تستند إلى قراءة نظرية في بعض النماذج التاريخية، مع توظيف مفاهيم السياق التاريخي والشرط الاجتماعي والسياسي، قصد إبراز كيفية تداخل البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع قرارات الفاعلين التاريخيين. كما يستثمر المقال بعض النماذج التاريخية لإظهار كيف تعيد موازين القوى تشكيل أدوار الشخصيات التاريخية وحدود حريتها في الفعل ضمن ظرفية معينة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الفعل التاريخي نتاج شبكة معقدة من العوامل البنيوية والظرفية والشخصية، وأن فهم التاريخ يستلزم إدراك العلاقة الجدلية بين السياق العام والظروف الخاصة وميزان القوة، مع إعادة تقييم موقع الفرد داخل هذه المنظومة بعيدًا عن القراءات التبسيطية أو الحتمية. ونهدف من خلال هذا العمل أن يسهم في إثراء النقاش المنهجي حول كتابة التاريخ، من خلال الدعوة إلى تبني رؤية تركيبية تتجاوز ثنائية البنية والفعل، وتفتح آفاقًا جديدة أمام بحوث التاريخ السياسي والاجتماعي والفكري.

الكلمات المفتاحية: السياق التاريخي – الشخصية التاريخية – ميزان القوة – الظرفية التاريخية – صناعة التاريخ.

Abstract:

This article aims to analyze historical action by unpacking the fundamental elements that contribute to the making of historical events, namely the general context, the specific conjuncture, the historical actor, and the balance of power, treating them as key methodological entry points for understanding the dynamics of historical change. It departs from a central question: to what extent can historical facts be interpreted through the interaction of these elements, instead of confining explanation to the political factor or to the role of the individual alone.

The study adopts an analytical approach grounded in a theoretical reading of selected historical cases, while mobilizing the concepts of historical context and social and political conditions in order to highlight how economic, social, and cultural structures intersect with the decisions of historical agents. It also draws on several historical examples to show how power relations reshape the roles of historical figures and the limits of their agency within a given conjuncture, on the premise that historical action is the product of a complex network of structural, circumstantial, and personal factors, and that understanding history requires grasping the dialectical relationship between the general context, specific conditions, and the balance of power, alongside a reassessment of the individual's place within this constellation beyond reductionist or deterministic readings. The article ultimately seeks to contribute to methodological debates on historical writing by advocating a synthetic perspective that transcends the structure/agency binary and opens new horizons for research in political, social, and intellectual history.

Keywords: Historical Context - Historical Figure -Balance of Power -Historical Circumstances - Making of History

مقدمة:

يمثل التاريخ سجلاً حياً للتفاعلات الإنسانية المعقدة، حيث تتداخل العوامل البنيوية واللحظات الحاسمة، لتشكيل المسارات التاريخية للأمم والشعوب وصناعة تاريخها. إذ لا ينبغي قراءة الأحداث التاريخية كوقائع منعزلة، بل كنتاج تفاعل مجموعة من العناصر الجوهرية والفاعلة، أبرزها السياق التاريخي العميق الذي يشكل الأرضية اللازمة للتحولات التاريخية، ثم في مستوى ثاني الظرفية الطارئة، التي تمثل نقطة تحول مفاجئة في مسار الأحداث. أما العنصر الثالث فتجسده الشخصيات التاريخية الفاعلة والمؤثرة، التي تترك بصماتها على مجرى الأحداث. وأخيرا ميزان القوة الذي يعد بدوره عاملا أساسيا في صناعة الأحداث التاريخية وتشكلها، إذ بواسطته تحدد نتائج الصراعات التاريخية، وترسم ملامح الأحداث التاريخية الجديدة.

فصناعة التاريخ عملية جد معقدة، تؤثر فيها العديد من العوامل المفسرة والمسببة، فالظروف السياسية والاقتصادية قد تؤدي إلى ثورات وانقلابات، ويمكن للصراعات السياسية بين الدول أن تؤدي إلى حروب دموية. أما الشخصيات القيادية، فهي الأخرى يمكن أن تؤثر بشكل كبير في صناعة التاريخ وتوجيه بوصلته، فقد يتمتع بعض القادة بالقدرة على إلهام الناس وتحفيزهم على تحقيق أهداف كبيرة، بينما يمكن لآخرين أن تؤدي تصرفاتهم وقراراتهم غير المحسوبة إلى اندلا ع الحروب وتفاقم الأزمات وتفشي الصراعات الداخلية والخارجية. وإلى جانب الظروف السياسية والاقتصادية، ودور الشخصية القيادية، يمكن للعوامل الاجتماعية والثقافية أن تؤثر هي الأخرى في صناعة التاريخ. فقد تساهم هذه الأخيرة في إحداث تحولات كبيرة داخل المجتمعات، وقد تؤثر القيم والمعتقدات الثقافية في صناعة التاريخ وتحديد اتجاهاته.

وإذا كان التاريخ بوصفه حقلًا معرفيًا متعدد التخصصات، فيجب أن يخضع لعملية تحليلية لفهم التفاعلات المعقدة المساهمة في صناعة التاريخ، وحتى لا يصير مجرد سرد للأحداث دون إدراك العناصر المحركة له والفاعلة فيه. فالعناصر المحركة لصناعة التاريخ، تتفاعل مع بعضها البعض منتجة لأحداث تاريخية، وهذه الأحداث والوقائع تتفاعل هي الأخرى مع بعضها البعض لترسم مسارا مخالفا لمسار الأحداث التاريخية السابقة. فالأحداث اللاحقة دائما تكون نتاج أحداث تاريخية سابقة، وهذا التداخل البنيوي لابد من استحضاره في توضيح العوامل المفسرة لصناعة التاريخ. فالأحداث التاريخية الجديدة، يمكن أن تغير التفسير الذي أعطي للأحداث السابقة، وتغير كذلك النظرة العامة للتاريخ. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تؤثر الثورات والانتفاضات والحروب في تفسير الأحداث التي سبقتها، وتعطي لها معنى جديداً، كما يمكن لها أن تقلل من أهمية الأحداث الأخرى وتعتبرها جزءاً من سياق تاريخي أوسع. وبالمثل، يمكن أن تؤثر الأحداث السابقة في تفسير الأحداث اللاحقة، ومن هنا تبرز أهمية دراسة التاريخ كأداة لفهم الحاضر والتخطيط لفهم المستقبل. فمن خلال دراسة الأحداث الماضية، يمكن التنبؤ بالتطورات المستقبلية، واستخلاص دروس مهمة تساعد في تفسير الأحداث الجارية.

يطرح هذا الموضوع الذي نسعى أن نقدم فيه هذه الإضافة، إشكالية مركزية: كيف تصنع الأحداث التاريخية؟، وما دور السياق والظرفية والشخصية وميزان القوة في صناعة التاريخ وتوجيه أحداثه؟، فالتاريخ يسير وفق حتميات موضوعية، وأحداثه ليست ثمرة إرادات فردية أو جماعية فقط، بل نتاج تفاعل لعناصر متداخلة مع بعضها البعض. وانطلاقا من إجابتنا عن هذه الإشكالية المركزية، وما يتفرع عنها من إشكاليات أخرى. وتكمن أهمية هذا الموضوع، في كونه يمنحنا أدوات لفهم الأسباب المسؤولة عن صناعة الأحداث التاريخية، والكشف عن الآليات الخفية التي توجه عجلة التاريخ. فالثورات لا تنشأ من فراغ، والحروب لا تندلع بدون مقدمات، والسلام لا يتحقق بمحض الصدفة. إنما كلها حصيلة تفاعل معقد بين البنى الاقتصادية والاجتماعية الطويلة الأمد، والفرص السانحة القصيرة الأجل، وقرارات القادة، وموازين القوى المتغيرة.

ومن المهم أيضاً أن نشير في البداية، إلى أن تفسير الأحداث التاريخية، قد لا يتأثر بهذه العناصر التي سنحاول توضيحها في هذا المقال، بقدر ما يتأثر بشكل كبير بالمصادر التي يعتمد عليها التاريخيون والباحثون. فالمصادر الرسمية والوثائق وشهود العيان، والنصوص الأدبية والفنية

والإعلامية، يمكن أن تعطي تفسيرات مختلفة لنفس الحدث التاريخي. وهذا يعني أن مؤرخين مختلفين قد يختلفان في تفسير نفس الحدث، بناءً على المصادر التي اعتمدا عليهما والحقبة التاريخية التي عاشا فيها، وفي ذلك حسب البعض جانب من جوانب المتعة في الدراسة التاريخية.[1]

ومن أجل الإحاطة الشاملة بهذا الموضوع، سنعتمد على مصادر ومراجع تاريخية متنوعة تناولت الموضوع، لكن بطريقة غابت فيها الشمولية والاستحضار القوي لهذه الرباعية المسؤولة عن صناعة التاريخ. ومن جهة أخرى، سنعتمد نموذجا تحليليا متكاملا يجمع بين قوة البنى وحرية الفاعلين، وبين ثقل الماضي وفرص اللحظة الراهنة، مستحضرين في دراستنا التفاعل الجدلي بين العناصر الأربعة المحركة للتاريخ والصانعة لأحداثه.

المحور الأول: السياق والظرفية التاريخيتين ودورهما في صناعة التاريخ وتجديده.

1- مفهوم السياق التاريخي ودوره في صناعة الأحداث التاريخية:

أ- مفهوم السياق التاريخي.

السياق التاريخي ليس مجرد خلفية ثابتة تؤثث مسرح الأحداث، بل هو نسيج من العوامل المتشابكة التي تُشكّل الوعاء الذي تنشأ فيه الوقائع التاريخية وتتطور داخله. فهذا المفهوم يعبر عن الرؤية الشمولية للتاريخ، التي ترفض تفسير الظواهر بمعزل عن محيطها، وترى أن الفهم الأوسع والحقيقي لأي حدث تاريخي، يستلزم استيعاب البيئة الزمانية والمكانية التي احتضنته.

فالتاريخ ليس سلسلة منعزلة من الوقائع المتفجرة، بل هو نهر متدفق تُشكّل مياهه روافد لا تُحصى من العوامل الخفية والظاهرة. وهذا النسيج المعقد من الزمان والمكان والعلاقات والأفكار، هو ما نسميه "**السياق التاريخي**" أو الإطار الحيوي الذي لا يكتفي فقط بتأطير الأحداث، بل يولدها من جديد ويحدد مساراتها ويمنحها معناها ودلالاتها التاريخية. إنه العنصر الحاسم الذي يحوّل الحادثة العابرة إلى لحظة مفصلية، والخيار الفردي إلى ظاهرة جماعية.

تتشابك في هذا النسيج عوامل متعددة: جغرافية المكان وروح الزمان، البنى الاقتصادية القاسية والتحولات الفكرية الرقيقة، التوترات الاجتماعية والعوامل الدينية والعرقية، إذ كثيرا ما تكون لهذه الأخيرة دورا مباشرا في حدوث الصراعات ونشأة الحروب. ومن زاوية أخرى يمكن كذلك للعوامل الجيوسياسية أن تؤثر في صناعة التاريخ، فقد يؤدي التحالف والصدام بين الدول إلى أزمات سياسية أحيانا،

وعسكرية أحيانا أخرى[2].

فعلى سبيل المثال، ابن خلدون اعتبر أن العصبية القبلية كانت عاملًا رئيسيًا في حركة التاريخ وتفسير نشأة الدول وسقوطها، مما يوضح كيف أن السياق التاريخي لفترة معينة، يؤثر على فهم الأحداث لاحقًا. كما أن الفلاسفة وعلماء التاريخ يبرزون أهمية الوعي التاريخي بربط الماضي بالحاضر والمستقبل، حيث يشكل الحاضر نقطة الاتصال بين الماضي والمستقبل، ويحدد كيفية فهمنا للتاريخ وتأويلنا للأحداث. [3].

وتجدر الإشارة، إلى أن هذه العوامل لا تعتبر قائمة شاملة، وإنما تعد مجرد أمثلة على بعض العوامل التي قد تؤثر في صناعة التاريخ، ويمكن أن تختلف العوامل المؤثرة من حقبة لأخرى ومن مكان لآخر. وعادةً ما يحاول تاريخيون وعلماء الاجتماع والعلوم السياسية والأنثروبولوجيا، تحليل وفهم هذه العوامل وتأثيراتها في صناعة التاريخ. فالثورة الفرنسية التي غالباً ما تُختزل في سقوط الباستيل وإسقاط الملكية، كانت في جوهرها تفجّراً لتراكمات عميقة: أزمات مالية مزمنة ونظام إقطاعي متصلب وصعود طبقة برجوازية واعية وانتشار أفكار التنوير التي أعادت تعريف علاقة الفرد بالسلطة.[4]

أما عصر النهضة الأوروبية، لم يكن مجرد نهضة علمية وأدبية وفنية، بل كان تعبيراً عن تحول سياق تاريخي أعمق، انطلق مع اختراع الطباعة الذي غير آلية نشر المعرفة، وازداد مع نمو المدن والطبقة البرجوازية التي خلقت رعاة جدداً للفنون. أما الاكتشافات الجغرافية فوسعت آفاق

العالم الأوروبي، والتغيرات الدينية والفلسفية أعادت تعريف موقع الإنسان في الكون. كل هذه العوامل شكلت سياقاً خاصاً جعل من عصر النهضة ظاهرة ممكنة وملخصة لروح زمنها.

يتكون السياق من طبقات متراكمة تتفاعل فيما بينها، بدءا من البنية المادية المتمثلة في الجغرافيا والموارد الاقتصادية والتقنيات السائدة، مروراً بالبناء الاجتماعي من أنظمة حكم وعلاقات طبقية وتركيبات ديموغرافية، وصولاً إلى الأفكار والمعتقدات والقيم الثقافية. فهذه العناصر لا تعمل بمعزل عن بعضها، بل تخلق نظاماً مركباً يحدد الإمكانات المتاحة والموانع القائمة.

ب–دور السياق التاريخي في صناعة التاريخ وتغيير مجراه

يمارس السياق التاريخي دوراً تأسيسياً في صناعة الأحداث من خلال آليات متعددة: أولاً، يعمل كـ "مولّد خفي" للوقائع التاريخية، حيث تتفاعل العوامل السياقية المتراكمة لتخلق ظروفاً مهيأة لتحولات كبرى. فالحرب العالمية الأولى لم تندلع فقط بسبب حادثة اغتيال ولي عهد النمسا، بل بسبب سياق أوروبي مشحون بتحالفات عسكرية متشابكة، وقوميات متصارعة، وسباق تسلح مكثف، وإمبراطوريات في حالة صراع على النفوذ. أما الحادثة كانت الشرارة، لكن السياق كان المواد القابلة لإشعال تلك الشرارة.

ثانيا، يشكل السياق " **قيداً وفرصة** " في آن واحد للفاعلين التاريخيين، فالقادة والجماعات لا يتصرفون من فراغ، بل داخل شبكة معقدة من المحددات والاحتمالات. فقرار ترومان باستخدام السلاح النووي ضد اليابان عام 1945، مع ما يحمله من ثقل أخلاقي، كان نتاجاً لسياق حرب شاملة.

ثالثاً، يعمل السياق كـ "محرك للتحولات التاريخية" من خلال خلق لحظات حرجة، حيث تصل التناقضات الداخلية إلى ذروتها. فسقوط جدار برلين عام 1989 لم يكن حدثاً معزولاً، بل كان تتويجاً لتراكم أزمات داخل المنظومة الاشتراكية: فشل اقتصادي، تآكل الشرعية السياسية، ضغوط خارجية، وانتشار قيم الحرية الفردية عبر وسائل الاتصال الحديثة. لذلك السياق هنا خلق الظروف التي جعلت التغيير حتمياً، بينما حددت الخيارات البشرية شكله وتوقيته.

وفي النهاية، تبقى قيمة فهم السياق التاريخي تتجاوز تفسير الماضي إلى فك شفرات الحاضر واستشراف المستقبل. فالصراعات الإقليمية والتحولات الاقتصادية والحركات الاجتماعية الراهنة كلها جميعاً ثمار أشجار غرسها الماضي في تربة سياقات معينة. لذا يبقى إدراك هذه الجذور مسألة مهمة تجنبنا من التفسيرات السطحية والحتميات الجاهزة، وتفتح أمامنا إمكانية فهم أكثر عمقاً لتعقيدات العالم البشري بكل أحداثه ووقائعه. وبهذا يصبح السياق التاريخي ليس مجرد إطار تفسيري، بل آلية صناعة التاريخ ذاتها، حيث تتفاعل الإرادة الإنسانية مع شروط ليست من صنعها، لتنتج مسيرة بشرية تمتزج فيها الحتمية والحرية بالاستمرارية والتغيير.

2– مفهوم الظرفية التاريخية وتأثيرها في الأحداث التاريخية:

تعد الظروف التاريخية عاملا مؤثرا في صناعة التاريخ[5]، حيث تتضمن هذه الأخيرة كل الأحداث والمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي تحدث في فترة زمنية محددة، وتؤثر في مسار الأحداث التاريخية. فالظرفية التاريخية المحيطة بكل حدث تاريخي، تشكل عنصرا مهمًا لفهم السياق الذي يحدد الأحداث والتغيرات التاريخية التي حدثت. ومن خلال فهم هذه الظروف، يمكن للمؤرخين كما للباحثين، أن يحللوا ويفسروا الأحداث التي حدثت، والتغيرات التي طرأت داخل المجتمعات والحضارات الإنسانية.

تتعدد الظروف التاريخية المؤثرة في صناعة التاريخ، فقدر ما يمكن أن تشمل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بقدر ما يمكن أن تشمل كذلك الظروف الثقافية والجغرافية والدينية والعلمية والتكنولوجية والبيئية، وكل تلك الظروف تؤثر على المجتمعات بطريقة مختلفة، كما تحدد مسار الأحداث التاريخية. ومن خلال دراستها، يمكن للمؤرخين والباحثين أن يحللوا وينتقدوا الأحداث التاريخية بطريقة أفضل، كما

يمكنهم من خلال ذلك أيضا صياغة تفسيرات أكثر دقة وأكثر شمولية لتلك الأحداث التي وقعت، مما يساعد على فهم العالم الحالي والاستفادة من التجارب التاريخية المتدخلة في صناعة المستقبل. إضافة إلى ذلك، تعتبر الظروف التاريخية أيضًا محددًا للعديد من القرارات التي يتخذها الأفراد، وتلجأ لها المجتمعات في فترة زمنية محددة. فالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي حدثت في فترة تاريخية معينة، تؤثر على الخيارات المتاحة للأفراد، بل تشكل سلوكياتهم وتوجهاتهم لتساهم في صناعة أحداث تاريخية لم تكن موجودة من قبل.

ينبغي لنا أيضًا أن نؤكد، أن الظروف التاريخية لا تكون ثابتة، ولا تتوقف عند حدود زمنية محددة، بل إنها تتغير مع مرور الوقت، وتتأثر هي الأخرى بالأحداث التي تحدث في الفترات اللاحقة، مما يجعل صناعة التاريخ مسألة مستمرة، لكونها تتأثر بالظروف التاريخية التي حدثت والتغيرات التي ستحدث في المستقبل. فعلى سبيل المثال، فأوروبا خلال العصور الوسطى شهدت تحولات كبيرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولعبت الحروب والصراعات الداخلية دورًا مهمًا في تشكل بنية المجتمعات الأوروبية، وتحديد الأنظمة السياسية والاجتماعية. كما تأثر مسار الأحداث بالانتشار السريع للدين المسيحي وتأثيره على الثقافة والفن والعلوم.

كما أن النهضة الأوروبية التي عرفتها أوروبا منذ القرن الخامس عشر الميلادي، مثلت مفترقًا مهما وحاسما في تاريخها، حيث أخرجتها من فترة العصور الوسطى وأدخلتها إلى الفترة الحديثة. لكن هذا التحول الذي حصل ما كان ليتحقق، لولا التغير الذي طال الظرفية التاريخية خلال تلك الفترة التاريخية وبخاصة في مجال الذهنية والعقليات. فالانتعاش الذي حصل في الثقافة والفن والعلوم والفلسفة، والانتقاد الذي وجه للكنيسة، والدعوة الجريئة التي نادت بضرورة مراجعة الأفكار الدينية، ساهمت في صناعة حقبة تاريخية جديدة في أوروبا، وهي الحقبة التي أطلق عليها الأوربيون اسم العصور الحديثة[6]

أما الثورة الصناعية التي بدأت تتشكل في أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، أثرت بشكل كبير على أوروبا في القرن التاسع عشر، وقد أدت إلى تحولات كبيرة في الاقتصاد والتكنولوجيا والحياة الاجتماعية. وتمكنت البلدان الأوربية من خلالها من تطوير صناعات جديدة، وتحسين الإنتاجية، مما أدى إلى تغيرات كبيرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية[7]. كما كان للحرب العالمية الأولى والثانية تأثيرا كبيرا على تاريخ أوروبا والعالم، حيث تسببت الحرب الأولى في تغيير الحدود الجغرافيا لبعض الدول الأوربية وميلاد دول جديدة لم تكن موجودة من قبل، بل وكانت سببا في تفتيت امبراطوريات تاريخية قوية.

وبسبب ظروف الحرب ومآلاتها، تشكلت تحالفات عسكرية واصطفافات سياسية لازالت تأثيراتها موجودة إلى يومنا هذا. أما حدث انهيار الاتحاد السوفيتي وانتقال دول شرق أوروبا إلى الديمقراطية في القرن العشرين، فقد أدى هذا إلى تغيرات كبيرة في السياسة والاقتصاد والثقافة في هذه الدول، وأثر بشكل كبير على تاريخ أوروبا في الفترة الحديثة.

شكل الانتقال الذي شهده العالم، مع بداية التسعينيات من القرن العشرين بسبب الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، تحولًا كبيرًا، حيث نقل مجتمعات معينة، من مجتمعات صناعية إلى مجتمعات ذات تفوق تكنولوجي أو ما أصبح يطلق عليها البعض بـ "**المجتمعات المالكة للمعرفة**"[8]، حيث أصبحت التكنولوجية هي التي تتحكم في العالم وتصنع أحداثه وتدفعه نحو التطور، بعدما كانت الصناعة والسلاح هم مصدر التحكم والقوة والهيمنة. وبسبب ذلك ساهمت هذه التحولات في صناعة أحداث تاريخية غيرت وجه العالم بالكامل، اعتمادا على التكنولوجيا والمعرفة بمختلف تخصصاتها، كما ساهمت الثورة التكنولوجية في تغير نظم التعليم والثقافة والاقتصاد وغيره من المجالات الأخرى.

المحور الثاني: الشخصية التاريخية وميزان القوة ودورهما في تجديد التاريخ وصناعة أحداثه:

1- مفهوم الشخصية ودورها في صناعة التاريخ.

تلعب الشخصية دوراً هاماً في صناعة التاريخ، فالأحداث التاريخية غالباً ما ترتبط بأفراد محددين، يمثلون ثقافات ومجتمعات وحضارات إنسانية مختلفة. ويكمن دور الشخصية في صناعة التاريخ في قدرتها على التأثير في الأحداث والمواقف من جهة، وتغيير مجرى التاريخ وصناعة أحداثه

من جهة أخرى. فالقادة العظماء والشخصيات التاريخية الشهيرة، كان لهم تأثير كبير في تشكل الأحداث وتوجيهها نحو مسار معين، سواء كانوا زعماء سياسيين أو مثقفون أو رجال دين، فسلطتهم الفعلية أو الرمزية كثيرا ما حددت مصير الأمم والحضارات. فالشخصيات التاريخية المؤثرة، غالباً ما تمتلك فكراً أو فلسفة معينة، سياسية أو ثقافية أو دينية، وامتلاكها لذلك ساعدها كثيرا في تحريك عجلة التاريخ وصناعة أحداثه.

لقد حاز دور الفرد في صناعة التاريخ اهتماما كبيرا، وبخاصة في الدراسات التاريخية والفلسفية، فبينما يرى **هيغل** أن "**العظماء هم أداة الروح المطلق لتحقيق غاياتها**"[9]، يقدم المفكر المصري طه حسين تحليلاً نقدياً لدور الشخصية، حيث يؤكد أن "**بطولة الفرد لا تنفصل عن البيئة الاجتماعية التي أنتجتها**"[10]. وفي المقابل، يقدم عبد الله العروي في كتابه " **مفهوم التاريخ**" تحليلاً بنيوياً يشبه طرح كارل ماركس، مشيراً إلى أن "**دور الزعيم يبقى ثانوياً أمام حركة الطبقات الاجتماعية**[11]". **بينما يحاول آخرون تقديم مواقف متوازنة بخصوص هذا الموضوع**".[12]

لكن ما يجب التنبيه إليه، أن صناعة الأحداث التاريخية وجعل التاريخ في حالة تجدد، يمكن دراسته في ثلاث مستويات، الأول يعتمد على الشخصيات التاريخية الفاعلة والمؤثرة في تاريخها وفي تاريخ الآخرين، والثاني يعتمد على الشخصيات غير التاريخية، وفي مستوى ثالث، على جماعات الضغط (اللوبي). فبخصوص المستوى الأول، فالشخصية التاريخية قد تؤثر في الأحداث والوقائع التاريخية، من خلال القيادة والرؤية التي يتصف بها الزعماء والقادة، حيث تكون لهم القدرة على توجيه الأحداث عبر قراراتهم الاستراتيجية سياسة كانت أو عسكرية، مثل نابليون بونابرت[13] وهتلر في أوروبا أو غاندي في الحركة الاستقلالية بالهند.

كما يمكن للشخصية أن تساهم في صناعة التاريخ من خلال الإصلاح والتغيير، مثل فلاسفة عصر الأنوار ودورهم في تحريك الجماهير عبر الخطاب أو الفعل، مما أدى إلى تحولات كبرى في مسارات التاريخ. كما يمكن لهذه الشخصية كذلك أن تكون فاعلة في توجهات الدول والحكومات، إذ يمكن أن تؤثر في القرارات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية، وتوجه سياسة الحكومات في التعامل مع القضايا الداخلية والخارجية. وبقدر ما يمكن لها أن تصنع أحداثا تاريخية سلبية من قبيل إذكاء الصراعات والحروب، وإثارة النعرات الطائفية والعرقية والدينية، بقدر ما يمكن أن تحرك عجلة التاريخ نحو التطور والازدهار عبر تطور العلوم والفنون والثقافة، حيث يمكن للشخصيات المشهورة في هذه المجالات، أن تلهم الأفراد وتحفزهم على التفوق والابتكار، وتساهم في تطور المجتمعات والحضارات على كافة الأصعدة. فالشخصية العظيمة دائما تتحول إلى ظاهرةً اجتماعية ذات أهمية بارزة. فحسب هيكل "**إنَّ الرجل العظيم هو الرجل الذي يستطيع أن يصوغ إرادة عصره في كلمات، ويخبر عصره بها، ويحققها. فإنَّ ما يفعله هو قلب عصره وماهيته. إنه يجسد عصره**"[14].

أما المستوى الثاني فيتعلق بالشخصية غير التاريخية، سواء تلك التي تبرز بشكل فردي أو التي تبرز في إطار الجماعة والتي تكون لها القدرة على إفراز مسارات وأحداثا تاريخية جديدة. فقوة الجماهير أو الوحدة الجماهيرية تظهر كيف أن الأفراد العاديين مجتمعين كثيرا ما يُحدثون تغييرًا رغم عدم بروز أسمائهم، مثل ثورات الربيع العربي. ومن هنا تبرز أهمية الفرد والجماعة أو بتعبير آخر أهمية الشخصية التاريخية وغير التاريخية في صناعة التاريخ سواء التي تشتغل في إطار فردي أو جماعي. فالتاريخ لا يصنعه الأفراد العظماء وحدهم، ولا الجماهير وحدها، بل تصنع عبر تفاعل القيادة مع الظروف الاجتماعية مثل شخصية لينين ودورها في اندلاع ثورة ثورة أكتوبر 1917 التي أنهت حكم القياصرة وأسست لمسار سياسي واقتصادي مخالف.

يتمثل المستوى الثالث في جماعة الضغط، حيث يُعد اللوبي قوة خفية لكنها فاعلة في صناعة التاريخ وتغيير مسار الأحداث، حيث يعمل كوسيط بين المصالح الخاصة وصناع القرار. فمن خلال الضغط السياسي والمالي، يستطيع أن يوجه السياسات العامة لصالح جهات معينة، سواء عبر سنّ تشريعات أو عرقلة قرارات تتعارض مع مصالحه أو مصالح الجهات التي يشتغل لمصلحتها. كما يلعب اللوبي دورًا محوريًا في تشكيل الرأي العام عبر وسائل الإعلام والبحث الأكاديمي، مما يجعله مؤثرًا في القرارات الجماعية.

فعندما نعود لدراسة التاريخ بما له علاقة بالجماعات الضاغطة، نرى كيف غيّرت لوبيات السلاح والنفط مسار الحروب والأزمات الكبرى، فبينما ساهمت لوبيات حقوقية في إحداث تحولات اجتماعية إيجابية عميقة [15]، كان للوبيات السياسة والاقتصاد تأثيرا سلبيا على العلاقات الدولية رغم تحديات من القوى المنافسة والرأي العام الواعي، مما جعلها عنصرًا ديناميكيًا في المعادلة التاريخية. وهكذا، يصبح اللوبي محركًا رئيسيًا للأحداث التاريخية، يغيّر ويُجدّد مسارات التاريخ وفقًا لصراع المصالح وتقلبات القوة.

تلعب الشخصيات التاريخية دورًا حاسمًا في صناعة الأحداث التاريخية وتشكلها، كما تساهم كذلك في توجيه مسار التاريخ وتحديد حركته، حيث تمتلك بعضها رؤى استثنائية وقدرات قيادية تمكنها من إحداث تحولات كبرى داخل مجتمعاتها وخارجها، سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي وكذلك العسكري مثل نابليون بونابرت وأدولف هتلر. فالأول يُعد أحد أكثر الشخصيات تأثيرًا في التاريخ الأوروبي، حيث غيّر وجه القارة من خلال حروبه الطموحة وإصلاحاته الجذرية وقراراته التي مست مجال السياسة والإدارة والجيش وغيرها من المجالات الأخرى[16]. بعد صعوده السريع خلال الثورة الفرنسية، توج نفسه إمبراطورًا عام 1804م، وسعى إلى بسط النفوذ الفرنسي على أوروبا عبر سلسلة من الحملات العسكرية، كما أسس إمبراطورية واسعة فرضت فيها فرنسا قوانينها وقيم الثورة الفرنسية، كالمساواة وإصلاح النظام القانوني عبر "قانون نابليون".[17]

أدت سياساته التوسعية إلى تحالفات أوروبية متكررة ضده، خاصة بعد غزوه لروسيا عام 1812، الذي أنهك جيشه، فهُزم أخيرًا في معركة واترلو (1815)[18]، ونفي إلى جزيرة سانت هيلينا التي ظل بها إلى أن توفي سنة 1821. ومع ذلك، استمر تأثيره بعد سقوطه فأعاد مؤتمر فيينا (1815) رسم خريطة أوروبا سياسيًا، بينما انتشرت أفكاره الثورية عن القومية والإصلاحات القانونية، مما أشعل ثورات القرن التاسع عشر. هكذا، صنع نابليون تاريخًا لا يُنسى، بين كونه بطلًا حداثيًا وطاغوتا حربيًا[19].

أما الثاني[20]، بوصفه زعيما نازيا فقد اعتبر أكثر الشخصيات تأثيرًا في التاريخ المعاصر لأوروبا والعالم، لكونه ترك بصمته الدموية على فترة القرن العشرين بسبب سياساته التوسعية والعنصرية التي أدت إلى اندلا ع الحرب العالمية الثانية. استغل هتلر الظروف الاقتصادية الصعبة التي عانت منها ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وما تضمنته معاهدة فرساي من شروط مجحفة في حقها، ليتسلق السلطة ويؤسس نظامًا ديكتاتوريًا قائمًا على تفوق العرق الآري.

فبعد وصوله إلى الحكم، بدأ هتلر في انتهاك بنود معاهدة الصلح بتسليح الجيش الألماني وغزو الأراضي المجاورة، مثل النمسا وتشيكوسلوفاكيا، دون مقاومة تذكر من القوى الأوروبية التي اتبعت سياسة الصمت تارة والتهديد تارة أخرى. لكن اجتياحه لبولندا في شتنبر 1939 كان الشرارة التي أشعلت الحرب العالمية الثانية، حيث أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا ردًا على هذا العدوان.

فخلال الحرب، ارتكب هتلر جرائم وحشية، أبرزها الهولوكوست، التي أودت بحياة ستة ملايين يهودي، بالإضافة إلى ملايين الضحايا الآخرين من المعارضين والأقليات، فأدت سياساته العسكرية والعدوانية، مثل غزو الاتحاد السوفييتي عام 1941، إلى توسع رقعة الصراع وتحويله إلى حرب عالمية شاملة. في النهاية، أدت هزيمة ألمانيا عام 1945 إلى تغيير الخريطة السياسية للعالم، وظهور القوتين العظميين الجديدتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، مما مهّد لبدء الحرب الباردة. هكذا شكلت شخصية هتلر، بمواقفها المتطرفة وطموحها التوسعي، عاملا رئيسيا في تشكيل مأساة القرن العشرين، حيث حول أوروبا إلى ساحة دمار شاملة.

إذا كانت الشخصيات السياسية والعسكرية، تساهم بشكل مباشر في صناعة الأحداث التاريخية كما رأينا مع نموذجي نابليون وهتلر، فالشخصية الفكرية والثقافية هي الأخرى يمكن لها أن تقوم بنفس الأمر. فالقادة العسكريون يغيرون خريطة العالم عبر المعارك والحروب، كنابليون وهتلر وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم، بينما يصوغ العلماء والمفكرون والمصلحون، مثل ابن خلدون ونيوتن ومارتن لوثر كينغ وغاندي وغيرهم، وعي الأمم ويحركون الجماهير نحو التغيير الاجتماعي.

ما ينبغي التأكيد عليه، أن تأثير الشخصية التاريخية على صناعة الأحداث التاريخية، لا ينفصل عن السياق التاريخي والظروف المحيطة بها، إذ أن القرارات الفردية، كتلك التي قد تقررها الشخصية التاريخية، ستقود إلى انتصارات عظيمة أو كوارث مهولة وفقًا لطبيعة تلك القرارات والبيئة التي نشأت فيها. كما أن بعض تلك الشخصيات التاريخية ستتحول إلى رموز أسطورية مع مرور الزمن، مما يمجد أدوارها أو يشوهها، وفي المقابل يظل إرث آخرين، مثل محمد علي باشا أو لينين وغيرهم، حاضرًا في أذهان البشرية بسبب التحولات الجذرية التي أحدثوها. وفي النهاية، يبقى دور الشخصية التاريخية نتاجًا للتفاعل بين إرادتها الفردية ومحيطها الجماعي والظروف الموضوعية التي وجدت فيها، إذ لا يمكن للأفراد صنع التاريخ بمفردهم، لكنهم قد يصبحون محفزات حاسمة عندما تتوفر البيئة المناسبة لتحقيق التغيير، وبهذا المعنى تبقى الشخصية التاريخية عنصرا فاعلا في الديمومة التاريخية، ومجددا بارزا في عجلة التاريخ، وصانعا أساسيا في تشكل أحداثه.

2- ميزان القوة ودوره في تحريك عجلة التاريخ:

يشكل ميزان القوة أحد المفاهيم المحورية في العلاقات الدولية، وفي التحليل التاريخي، حيث يشير إلى توزيع القوة بين الفاعلين الرئيسيين في الساحة الدولية، الأمر الذي يمنحه دورا بارزا في تحريك عجلة التاريخ وصناعة أحداثه[21]. فميزان القوة يمثل أحد العوامل الحاسمة في تشكيل التحولات التاريخية الكبرى، فالدراسات التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة، تظهر أن التفاوت في توزيع القوة المادية والرمزية، غالباً ما يكون المحرك الرئيسي للنزاعات والتحالفات. وفي هذا الصدد يرى هنري كيسنجر في كتابه **"الدبلوماسية"** أن "التاريخ يُصنع من خلال التفاعل بين القوى العظمى، بينما تُجبر الدول الصغيرة على التكيف مع هذا التوازن[22]. وفي المقابل، يحلل المؤرخ المصري جمال حمدان في كتابه **"شخصية مصر"** دور الجغرافيا السياسية في تحديد ميزان القوة، قائلاً إن **"موقع مصر الاستراتيجي جعلها دائماً محط أطماع القوى الكبرى، مما فرض عليها دور الوسيط أو الضحية"**[23].

أما كينيث والتز[24] في نظريته البنيوية للعلاقات الدولية، فيؤكد أن "النظام الدولي يتشكل وفقاً لتوزيع القوة، مما يدفع الدول إما إلى التحالف لموازنة القوى المهيمنة أو إلى التوسع لتعزيز نفوذها. [25] وفي السياق العربي، يقدم العالم السياسي المغربي محمد عابد الجابري في كتابه **"المثقفون في الحضارة العربية"** تحليلاً نقدياً لدور النخب في إعادة إنتاج اختلالات القوة داخلياً، مشيراً إلى أن "الاستبداد السياسي غالباً ما يكون نتاج تحالف النخبة مع القوى الخارجية الأقوى"[26].

فعندما يختل ميزان القوة لصالح طرف واحد، مثل فرنسا خلال القرن التاسع عشر أو ألمانيا خلال الحربين العالميتين باعتبار هما حدثين بارزين خلال فترة القرن العشرين، تندفع الأطراف الأخرى لموازنته عبر التحالفات أحيانا أو الحروب أحيانا أخرى، مما يُحدث تحولات تاريخية كبرى. فحروب نابليون بونبارت في القرن التاسع عشر الميلادي، أدت إلى تحالف أوروبا ضده مثل تحالف بريطانيا وروسيا وبروسيا لإعادة التوازن.[27] ونفس التحالفات تشكلت ضد ألمانيا خلال فترة القرن العشرين عندما رأى فيها العالم الرأسمالي بالخصوص أنها أصبحت تهدد مصالحه وطموحاته العالمية.

فعندما يكون ميزان القوة متوازنًا نسبيًا، مثل الحرب الباردة التي طبعت العلاقة بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، قد يسود **"سلام هش"**، سلام يمنع الصراع المباشر، لكنه يغذي حروبًا بالوكالة[28]. وفي المقابل، الاختلال الحاد في ميزان القوة بعدما انهار الاتحاد السوفيتي سنة 1991 قد أحدث فراغًا قويًا أدى إلى صعود الولايات المتحدة الأمريكية كقوى جديدة أصبحت متحكمة في العالم فارضة إرادتها عليه، فنتج عن ذلك أن تغيرت الأحداث والوقائع التاريخية. وبذلك يكون لميزان القوة سواء وقع فيه توازن أو اختلال، دورا محوريا في تحريك عجلة التاريخ وإعادة فرز أحداث تاريخية جديدة، لأنه ليس مجرد **"رد فعل"** تاريخي، بل محرك ديناميكي يتفاعل مع المصالح والخوف من الهيمنة. فحين يُدرك الفاعلون الأساسيون أن النظام لم يعد متوازنًا، يسعون لتغييره إما بالحروب أو بالدبلوماسية أو بالابتكار، مما يخلق نقاط تحول تؤسس دوما لمسار تاريخي جديد.

إذا كان ميزان القوة يشير أحيانا إلى توزيع القوة بين الفاعلين الأساسيين في العلاقات الدولية، فإنه قد يستخدم لوصف التوازن السياسي والعسكري والاقتصادي القائم بين دولتين أو مجموعة دول، وبهذا المعنى يمكن أن يساهم في صناعة التاريخ بشكل كبير، خاصة وأنه يؤثر في العديد من الجوانب المختلفة من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول.

ومن بين أهم الطرق التي يؤثر بها ميزان القوة في صناعة التاريخ:

أولا: يتحكم ميزان القوة في تحديد السياسة الخارجية للدول، وذلك بناءً على الاعتبارات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وبواسطته يمكن التأثير في العلاقات القائمة بين الدول، وقدرتها على القيام بالتحالفات الدولية والمشاركة في الحروب والصراعات الإقليمية والدولية.

ثانيا: يؤدي ميزان القوة إلى توزيع الثروة والنفوذ داخل المجتمعات والدول، وبين الأفراد والجماعات المختلفة، كما يؤثر كذلك في مسار الاقتصاد والتنمية وتوزيع الفرص والمزايا الاقتصادية والاجتماعية.

ثالثا: يؤثر ميزان القوة أيضًا في تحديد مسار الثورات والتغييرات السياسية في الدول، حيث يؤدي تفاوت الموارد والنفوذ والفرص إلى زيادة الانقسامات والصراعات الداخلية وتهديد الاستقرار السياسي.

رابعا: يمكن لميزان القوة أيضًا أن يحدد مسار الحروب والصراعات الدولية، حيث يؤثر في توزيع القوى والاستراتيجيات العسكرية والقدرات التكنولوجية للدول. كما يؤثر على المفاوضات الدولية بشكل كبير، ويغدو عاملا أساسيا في صناعة الأحداث التاريخية، حيث تعد المفاوضات وسيلة فعالة لتحديد العلاقات الدولية، والتوافقات والاختلافات بين الدول. وتتضمن المفاوضات الدولية العديد من الموضوعات والمجالات، مثل الأمن الدولي والاقتصاد والتجارة والبيئة وحقوق الإنسان وغيره، ويمكن لتلك للمفاوضات الدولية أن تؤثر في صناعة الأحداث التاريخية.

خاتمة:

في ختام هذا المقال، يمكننا التأكيد على أن التاريخ لا يصنع بعامل واحد مهيمن، ولا يتحرك ضمن خط حتمي بسيط، بل هو نتيجة تفاعل معقد بين عدة عناصر مترابطة ومتداخلة. إن قراءة الأحداث التاريخية من خلال عدسة أحادية البؤرة تُفقدنا إدراك الثراء الحقيقي للعملية التاريخية، وتجعلنا عاجزين عن فهم تعقيدات التحولات الكبرى التي شكلت عالمنا.

فالتاريخ يصاغ في بوتقة تجمع بين **البنى العميقة** التي تمثل السياقات الطويلة المدى – الاقتصادية والاجتماعية والثقافية – التي توفر الإطار الحاضن للتحولات، واللحظات **الحرجة** والظرفيات الاستثنائية التي تخلق نقاط تحول مفاجئة وتفتح مسارات جديدة لم تكن متوقعة. وهذه العناصر الهيكلية لا تكتمل صورتها دون فهم **دور الفاعلين** والأفراد الذين يحملون رؤى واختيارات وإرادات تترك أثرها في مجرى الأحداث التاريخية.

ولكن هذه المعادلة تظل ناقصة دون استحضار دور **ميزان القوى** الذي يتحرك دائما ضمن شبكة معقدة من الصراعات والتحالفات والتسويات، والذي يحدد دائما الرؤى والأفكار والمشاريع التي ستنتصر، وأيها ستنهزم أو ستهمش. فهذا المنظور التكاملي يدعونا إلى تجاوز القراءات التبسيطية للتاريخ، سواء تلك التي تعزو الأحداث إلى أبطال عظماء بمفردهم، أو تلك التي تختزلها في قوانين حتمية جامدة. فالتاريخ ليس سجلاً للضرورة المحتومة ولا للسرد البطولي الفردي، بل هو نسيج معقد تتداخل فيه الاختيارات الإنسانية مع القيود البنيوية، والإرادات الفردية مع التحولات الجمعية، والمصادفات مع الاستمراريات.

إن تبني هذا المنظور المتعدد الأبعاد ليس مجرد تمرين أكاديمي، بل له آثار معرفية وعملية عميقة. فهو يساعدنا في فهم حاضرنا بشكل أكثر دقة، فكما أن ماضينا لم يكن محتوماً، فإن مستقبلنا ليس مكتوباً سلفاً. وهو يذكرنا بأن التغيير التاريخي الحقيقي يتطلب العمل على مستويات متعددة في آن واحد: مستوى البنى العميقة، ومستوى الأزمات والفرص، ومستوى الفاعلين واختياراتهم، ومستوى موازين القوى وتحالفاتها.

في النهاية، إن قراءة التاريخ برؤية مركبة تسمح لنا استخلاص دروس أكثر عمقاً وإنسانية، وتجنبنا فخاخ التبسيط والإقصاء. فهي تذكرنا بأن صناعة التاريخ عملية جماعية معقدة، تتسع للكثير من الاحتمالات، وتشمل الكثير من الأصوات، وتحمل في طياتها الكثير من الدروس لمن يريد أن يستمع بعقل منفتح وروح متواضعة تعترف بتعقيد الوجود الإنساني وغنى تجاربه عبر الزمن.

الهوامش:

[1] – يقول كثير من العلماء إن كل عصر ينبغي أن يكتب التاريخ، لأن تقدير كل عصر لما هو مهم وذو معنى بالنسبة له، يختلف عن تقدير العصر الآخر، وكل عصر كذلك يحاول أن يرى الماضي من خلال اهتماماته والأفكار السائدة فيه، ومن هنا قال كثير من المؤرخين إن التاريخ حوار بين الحاضر والماضي، وهذا في ذاته يكشف لنا عن جانب من جوانب المتعة في الدراسة التاريخية. **انظر**: حسن مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1984، صص،42-43.

[2]– يمكن الاستشهاد هنا بما جاء به ابن خلدون في مقدمته إلى أن هناك عدة عوامل تساهم في تشكل الأحداث التاريخية كالعوامل الحضارية والإثنية والبيئية والجغرافية، حيث تلعب دورًا رئيسيًا في تكوين الدول وعمرانها. فمثلاً، اعتبر أن طبيعة المجتمع وموروثاته الجغرافية والبيئية تساهم بشكل مباشر في تشكيل قوة الجيوش، مثل وصفه لجيش المماليك الذي تكون من عناصر قاسية المعيشة في آسيا الوسطى، مما أكسبه صلابة في المعارك التاريخية مثل معركة عين جالوت. كما أن العوامل البشرية مثل القرارات السياسية والعسكرية لشخصيات الزعماء والقادة لها أثر كبير في بناء مجريات الأحداث التاريخية. هذا التفاعل المعقد بين البيئة والعامل البشري يوفر تفسيرًا شاملاً لتشكل الأحداث التاريخية بأبعادها المختلفة. **انظر**: كتاب: ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتاب اللبناني،1967.

[3]– ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتاب اللبناني،1967.

[4]– إيريك هوبزباون، عصر الثورة: أوروبا (1789– 1848)، ترجمة فايز الصياغ، تقديم مصطفى الحمارنة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى بيروت،2007، صص125-164.

[5] – يمثل كتاب "المقدمة" لابن خلدون، أهم الأعمال التي يمكن الاستناد إليها لتفسر دور الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في صناعة التاريخ، من خلال مفهوم "العصبية" ودورات صعود وسقوط الدول. فالكتاب يركز على كيفية تأثير التماسك الاجتماعي والترف الاقتصادي والانحطاط الثقافي في التطورات التاريخية المتكررة. للمزيد حول هذا الموضوع **انظر**: ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار الجيل، بيروت ،1988م.

[6] – كان للحركة الإنسية دورا بالغ الأهمية في كل التحولات التاريخية التي عرفتها أوروبا خلال عصر النهضة، حيث ساهمت في فتح طريق جديد نحو تجديد أنماط المعرفة، وتوسيع مصادر الإلهام الأدبي والفني، وتنقيح البيداغوجية التعليمية، ونقد تحرري للتقاليد والمؤسسات، وبناء صورة جديدة للإنسان. وبهذا المعنى كان للحركة الإنسية دورا مؤثرا في صناعة أحداث تاريخية وتغيير مسار التاريخ. انظر:

- J.C.Margolin,L'Humanisme en Europe, au Temps de la Renaissance, PUF,Paris,1981,p8.

[7] – حول هذا الموضوع ودور الثورة الصناعية في تغيير مسار الأحداث الاقتصادية بأوروبا والعالم خلال القرن 19م المرجو مراجعة كتاب:

- Régis benich, Histoire seconde, collect,Grehg Hachette, Paris,1987, p161.

[8] – يشير مفهوم "المجتمعات المالكة للمعرفة "إلى المجتمعات التي تَعتبر المعرفةَ موردًا أساسيا للتقدم الاقتصادي والاجتماعي، حيث تُحوَّل المعلومات والابتكار إلى قوة دافعة للتنمية المستدامة، وغالبا ما تتميز هذه المجتمعات بانتشار التعليم الرقمي، واقتصاد قائم على الخلق الإبداع وبنية تحتية تكنولوجية متطورة، بالإضافة إلى سياسات تدعم البحث العلمي وتشجع نشر المعرفة.

[9]– هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح دار التنوير،2011، ص،78.

[10]– طه حسين، على هامش السيرة طبعة جديدة، دار المعارف،2018، ص112.

[11]– العروي عبد الله، مفهوم التاريخ. المركز الثقافي العربي،1992، ص،145.

[12]– فمالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة"، يحاول التوفيق بين الجانبين، عبر مفهوم القابلية للاستعمار، الذي يربط بين تأثير الشخصيات الاستثنائية واستعداد المجتمعات للتغيير، وبذلك يساهم هذا التكامل في صناعة التاريخ وجعل أحداثه في حالة تجدد. ونفس الموقف يتبناه إدوارد كار في كتابه "ما هو التاريخ؟" حيث يقدم رؤية متوازنة، وفي هذا الصدد يقول: "إن العظماء لا يصنعون التاريخ إلا بقدر ما يفهمون اتجاه حركته". أما ناصيف نصار في كتابه "طريق الاستقلال الفلسفي " فيذهب إلى أن "الفعل التاريخي الحقيقي هو ذلك الذي يتحول من فعل فردي إلى حركة جماعية". **انظر**:

– بن نبي، مالك، شروط النهضة، دار الفكر، طبعة جديدة،2000، ص،63.

– كار، إدوارد، ما هو التاريخ؟،ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف،2015، ص،104.

– نصار، ناصيف، طريق الاستقلال الفلسفي، دار الطليعة،2017، ص،89.

[13]– ولد نابليون بونابرت في 15 غشت 1769، وكان الطفل الرابع لكارلو لينتشا " الاب" وليتيريا رامولينو " الام "، وينتمي ولده إلى عائلة إيطالية نبيلة. كما كانت شخصية نابليون متعددة المواهب، خاصة في المجال العسكري، الأمر الذي جعله يتولى قيادة أحد الجيوش الفرنسية، ولم يكن يتجاوز عمره السابعة والعشرين، وعمل خلال مهمته هذه بجد ومثابرة مما جعله يحقق انتصارات متعددة، حيث أنه قاد الجيوش الفرنسية في حربه مع ايطاليا، وانتصر فيها 1796، ثم زحف بعدها الى مصر وبلاد الشام. **انظر**: ناصر الأنصاري، تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، دار الشرق، القاهرة، 1968، ص207.

[14] – جيورج فيلهلم فريدريش هيجل، »فلسفة الحق، ترجمة تي. إم. نوكس، أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد، 1942م، ص. 295.

[15] – استطاعت الكثير من الجماعات الضاغطة أن تغير مسار العديد من الأحداث التاريخية من خلال الضغط المنظم على السلطات والرأي العام، سواء عبر الاحتجاجات أو الضغط التشريعي أو الإعلامي أو غيرها من الأساليب الأخرى. ويمكن استحضار أمثلة متعددة في هذا السياق أبرزها حركة الإلغاء في بريطانيا والولايات المتحدة :(1820–1830) المعادية للعبودية التي نجحت في دفع بريطانيا لإصدار قانون إلغاء العبودية عام 1833، مما أثر دولياً على حملات أخرى. **انظر**: –قباني، غالية. (2007). "قرنان على إلغاء تجارة العبيد في بريطانيا". مجلة العربي، العدد 59.

[16]– ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث 1453–1848، مكتبة الإسكندرية، بنغازي،1996، ص319.

[17]– يُعد قانون نابليون، الذي دخل حيز التنفيذ عام 1804، أحد أهم الإنجازات التشريعية في التاريخ القانوني. صُمم هذا القانون لتوحيد النظام القانوني في فرنسا بعد الثورة، مستندًا إلى مبادئ المساواة أمام القانون، حرية الملكية الفردية، والعلمانية .تأثر بالتراث الروماني والقوانين العرفية الفرنسية، لكنه أعاد صياغتها بطريقة واضحة ومنطقية. يُنسب إليه فضل نشر مفاهيم القانون المدني في أوروبا والعالم، خاصة في المستعمرات الفرنسية والبلدان اللاتينية. **انظر**: محمد فريد العريني، التشريع المدني الفرنسي– دراسة تاريخية مقارنة، دار النهضة العربية (القاهرة)،1982، صص،45–60.

[18]– تعد من أهم المعارك التي حدثت خلال القرن التاسع عشر، إذ وضعت معركة (واترلو) حدًا لطموحات نابليون المتعطشة للدم وللسلطة في أوروبا، كما كانت سببا في وقف أحلامه التوسعية ومحاولاته للهيمنة على أوروبا، وبالمقابل كذلك أنهت حربًا طويلة وشاقة داخل أوروبا. وقعت المعركة نفسها على بعد بضع كيلومترات جنوب قرية واترلو في بلجيكا في 18 يونيو 1815، وهي منطقة متواضعة كانت على وشك أن تقرر مصير الآلاف من الأوروبيين وتنهي الحروب النابليونية مرة واحدة وإلى الأبد. للمزيد حول هذه المعركة **انظر**:

– أليساندرو باربيرو، معركة وارتلو: النهاية المأساوية لنابليون، ترجمة صفية مختار، دار كلمات عربية،2015 .

– برنارد كورنويل واترلو، المعركة التي غيرت وجه أوروبا، ترجمة، محمد عبد النبي، المركز القومي للترجمة ،2016 .

– حسين الشيخ، نابليون ومعركة واترلو، دار المعارف، مصر،2009.

[19]– لقراءة المزيد حول شخصية نابليون بونابرت ودوره في الحروب التي قادها في أوروبا خلال القرن التاسع عشر ندعو القارئ إلى مطالعة كتاب: " تاريخ نابليون بونابرت" لإلياس أبو شبكة، مؤسسة هنداوي،2020.

[20]– يُعدّ أدولف هتلر واحد من أبرز الشخصيات التاريخية المؤثرة في أحداث القرن العشرين، حيث قاد صعود الحزب النازي إلى السلطة عام 1933، مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، كما ساهم بشخصيته الصلبة ومواقفه القوية في إعادة تشكيل الخريطة السياسية العالمية. كان مسؤولاً بشكل رئيسي ووحيد عن إشعال الحرب العالمية الثانية، مستفيداً من شعبويته ومهاراته في الدعاية لتوحيد الشعب الألماني خلف رؤيته العنصرية والتوسعية، مما غيّر مسار التاريخ بشكل كبير خلال فترة القرن العشرين. يتفق المؤرخون على أهميته التاريخية الاستثنائية، رغم إدانته الأخلاقية. للمزيد حول شخصية هتلر ودوره في تغيير مسار الأحداث التاريخية خلال فترة وجوده في السلطة **انظر**:

– د. لويس ل. سنيدر، أدولف هتلر: الرجل الذي أراد عملياً احتلال العالم، ترجمة طارق السيد خاطر، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر الطبعة الثالثة،2001.

– وليام لورانس شيرر، قيام وسقوط الرايخ الثالث: نهاية دكتاتور، ترجمة جرجيس فتح الله، دار آراس – أربيل، الطبعة الأولى،2002.

[21]– للمزيد حول هذا الموضوع **انظر**: عبد الرحيم، أيمن، الصراع الدولي على الشرق الأوسط، العربي للنشر،2018.

[22] – هنري كيسنجر، الديبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا، ترجمة، مالك فاضل البديري الأهلية للنشر، الطبعة الأولى،1994.

[23] –حمدان، جمال، شخصية مصر (المجلد 2). دار الهلال، 2017، ص ،217.

[24]– كينيث والتز (Kenneth Neal Waltz) عالم سياسة أمريكي بارز (1924–2013)، يُعتبر مؤسس الواقعية الجديدة أو الواقعية البنيوية في نظرية العلاقات الدولية.

[25] – Waltz, K, Theory of International Politics, Waveland Press,2010, p,102.

[26] – محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية .،1995، ص145.

[27]– للمزيد حول هذا الموضوع **انظر**: نوار، عبد العزيز سليمان، وعبد المجيد نعنعي، تاريخ أوروبا الحديث من النهضة إلى نابليون، الجزء الثاني، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي،2001.

[28]– انظر: – مجدي كامل، حروب الجيل الرابع: الحرب بالوكالة، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى 2016.